

# كَلِمَةُ قُرْآنٍ

عَرَبِيَّةٌ أَصْلًا .. وَاشْتِقَاقًا وَمَعْنَى

لِلإِسْتِثْنَاءِ رَابِعٍ لَطْفِي جَمْعُهُ

**ل**م يختلف اللغويون قديماً وحديثاً حول كلمة كاختلافهم حول كلمة « قرآن » . ولعل السبب في ذلك أن يكون راجعاً الى ما توهمه البعض من أن العرب في الجاهلية لم يعرفوا لفظة « قرأ » بمعنى التلاوة ، وحين عرفوها استخدموها بمعنى غير معنى التلاوة : فكانوا يقولون : هذه التافة لم تقرأ بلى قط . يقصدون أنها لم تحمل ملئوحاً ولم تلد ولداً . ومنه قول عمرو بن كلثوم :

ذراعسى عيطل آدماء بكر هيجان اللسون لم تقرأ جينا  
وقد مثل هذا الاختلاف القديم الجديد في اتجاهين أساسيين . أولهما حول الأصل الاشتقائي للفظ « قرآن » والثاني حول عربية هذا اللفظ .

وفي هذا المقال نتناول هذا الاختلاف باتجاهين، محاولين أن ندل فيه برأينا

## ○ الأصل الاشتقاقي للفظ قرآن ○

أما بالنسبة إلى الأصل الاشتقاقي للفظ قرآن ، فقد ذهب علماء اللغات في هذا اللفظ مذاهب شتى ، فهو عند البعض مهموز ، وعند البعض الآخر غير مهموز ، فمن رأى أنه بغير همز الشافعي والقراء والأشعري .

كذلك قرأ لفظ « القرآن » غير مهموز قارى أهل مكة المكرمة في زمانه إسماعيل بن عبد الله ابن قسطنطين آخر أصحاب ابن كثير زماناً . وعن أبي بكر بن مجاهد أنه قال « كان أبو عمر بن أبي العلاء لا يميز القرآن وكان يقرؤه كما روى عن ابن كثير » .

ويقول الشافعي : إن لفظ « القرآن » المعروف ليس مشتقاً ولا مهموزاً بل ارتجلاً ووضعه علماً على الكلام المنزل على النبي ﷺ .

فالقرآن عند الشافعي كما يقول : لم يؤخذ من كلمة « قرأت » ولو أخذ من قرأت لكان كل ما قرئ قرأناً ، ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل .

والمعروف أن التوراة بالعبرية « تورة » مأخوذة من كلمة « هرة » بكسر فسكون بمعنى دل أو هدى . أو أدري أو أنار وهي اسم لما أنزل على موسى . أما الإنجيل فمعناه « البشارة » وهو اسم لما أنزل على عيسى عليه السلام . وهكذا القرآن اسم لما أنزل على النبي ﷺ .

أما القراء فيقول : إن لفظ « القرآن » مشتق من القرائن جمع قرينة : لأن آياته يشبه بعضها بعضاً فكان بعضها قرينة على بعض .

ويقول : الأشعري ومن تابعه على رأيه : إنه مشتق من قرن الشيء بالشيء إذا ضمه إليه : لأن السور والآيات تقرن فيه ، ويضم بعضها إلى بعض .

إذا فالقرآن عند الأشعري وأصحابه معناه الجمع : لأنه يجمع السور فيضمها بعضها إلى بعض . ويقول ابن عباس :

« قرأت الكتاب قراءة وقرآناً ، ومنه سمي القرآن : لأنه جمع القصص ، والأمر والنهي ، والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض . ويقول الراغب الأصبهاني :

« القراءة ضم الحروف والكلمات إلى بعض في الترتيل ، يقال ذلك لكل جمع ، فلا يقال قرأت القوم أي جمعتهم .

وغنى عن البيان أن القول بعدم الهمز في القرآن في هذه الآراء جميعها بعيد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة . وبالتالي فإتينا نظرح هذا الرأي جانباً .

أما من رأى أن لفظ القرآن مهموز فيها الزجاج واللحيانى . ويقول الزجاج : إن لفظ القرآن مهموز على وزن فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع منه قرأ أثناء في الحوض إذا جمعه : لأنه جمع نمرات الكتب السابقة .

وبطل الزجاج قراءة من قرأ كلمة « القرآن » بغير همز بأنه ترك الهمزة من باب التخفيف . ونقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها وهو ما غيّر اللغة وتخضع له ولا يغير شيئاً من أصول الكلمات . وعلى ذلك فكلمة القرآن غير المهموز تساوى كلمة القرآن المهموزة مشتقة من مادة « قرأ » . أما اللحيانى فيقول إنه مصدر مهموز يوزن الففران والفرقان مشتق من قرأ بمعنى تلا : سعى به المقروء . وتسمة للمفعول بالمصدر .

ونحن نميل الى هذا رأى الأخير : لأنه أقوى الآراء وأرجحها كما ستبين ذلك . فالقرآن في اللغة إذا مصدر مرادف للقراءة على وزن فعلان وهو لفظ عربى صريح مادة وصيغة منه قوله تعالى : « إن علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » . ويرى بعض المفسرين أيضاً أن قوله تعالى : « الرحمن علم القرآن » أى علم القراءة .

واللاحظ أن كلمتى القرآن والقراءة ترتبطان في كثير من أى الكتاب الكريم . قال تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستمع باذنه من الشيطان الرجيم » وقال « وقرأنا قرآننا لنقرأ على الناس على مكث » وقال « وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » . وإذا فإن كلمة القرآن مشتقة من القراءة لا من القرء .

### ● كلمة « القرآن » عربية ●

أما الاتجاه الثانى في اختلاف اللغويين حول كلمة « القرآن » فيتمثل في عربية هذه الكلمة ، فمنهم من قال إن هذه الكلمة أخذها العرب من أصل آرامى وتداولوها . إذ وردت القراءة في الآرامية بمعنى التلاوة . وقد نادى بهذا رأى المستشرق « بيرجستراسر » حيث قال : إن اللغات الآرامية والعربية تركت في اللغة العربية أثاراً لا تنكر لأنها كانت لغات الأقوام المتعددة المجاورة للعرب في القرون السابقة على الهجرة .

ويؤكد صبرى الصالح في كتابه « مباحث في القرآن الكريم » هذا رأى ويقول . إن تداول العرب قبل الإسلام للفظ « قرأ » الأرامى الأصل بمعنى « تلا » كان كافياً لتعريبه واستعمال الإسلام له في تسمية كتابه الكريم .

وغريب من هذا الرأي رأى الدكتور طه حسين حيث يقول : إن القرآن ليس شعراً ولا نثراً ولكنه قرآن وأصله بالسريانية « المهر » أى أنه كتاب يُنزل جهرأ أو أنه كتاب جهر به . ويظهر بعد أن كان في طليّ الحقاء .

وعنى عن البيان أن هذا الرأي هو رأى المستشرقين « شوالى » و« ويلهاوزن » ، فقد عارض هذان المستشرقان في عروية كلمة القرآن ؛ وقالآ . ان هذه الكلمة مأخوذة من كلمة « قرباني » السريانية وهي بمعنى القراءة أو المفروء . ويقوى هذا الفرض لديها مقارنة الكلمة السريانية للكلمة العربية في الصيغة .

ويرى محمد طه الحاجرى أن إنكار المستشرقين لعروية كلمة « قرآن » ودها الى الأرامية أو السريانية . إنما يرجع الى مزاعمهم في القرآن أن يصدر عن أصول أجنبية كالتوراة والانجيل . ومن هنا لا يرون بأساً في أن يكون القرآن قد استعار عنوانه أيضاً من هذه المصادر ، أو من اللغة التي كتب بها .

وكما سبق أن ذكرنا أن حجة من أنكرو عروية لفظ القرآن هي عدم ورود مادة القراءة في نص جاهلى شعراً كان أو نثراً ، ولكننا لا نعتقد أن هذه الحجة تنهض دليلاً على صواب هذا الرأي ؛ فالتأيت عند علماء اللغة العربية أن لغة العرب لم تنته إلينا بهذا غيرها . وإنما الذى جاءنا من العرب غيبض من قبض . وقد ذهب كثير من الكلام شعراً ونثراً بذهب أهلهم . وفي ذلك يقول ابن فارس « ذهب علمائنا أو أكثرهم إلى أن الذى انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل . ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير » .

وإذا فإن عدم ورود مادة قرأ وقراءة في نص جاهلى لا يدل دلالة قاطعة على عدم وجود الكلمة في اللغة العربية ، فليس منكوراً - كما يقول المرحوم محمد لطفى جمعه في كتابه « ثورة الاسلام وبطل الأنبياء » - أن العرب قبل الاسلام كانت أمة تجارة . وكانت مكة بصفة خاصة مركزاً من المراكز التجارية الكبرى . فكانت الكتابة شائعة في مكة أكثر منها في المدينة ؛ لأن أهل المدينة كانوا مشغولين بالزراعة ، وبديهي أن الحياة التجارية والمعاملات التجارية تعتمد إلى حد كبير على الكتابة ولا كتابة بغير قراءة .

وتدل التصوص الجاهلية نفسها على أن العرب قد اتخذوا الكتابة لا في الوثائق التجارية فحسب ، بل في عقد المحالقات بين القبائل المختلفة وأشهرها في الجاهلية حلف الفضول . الذى حضره النبي ﷺ في شبابه قبل بعثه في دار عبد الله بن جدعان . كذلك حلف ذى المجاز .

وقصة « صحيفة المتلصص » أشهر من أن تروى . وهي واقعة حدثت في الجاهلية ، فيروون أن عمرو بن هند ملك الحيرة كتب لطرقة بن العبد صاحب المعلقة المعروفة باسمه ولغاله المتلصص كتابين إلى عامله على البحرين وعمان . فلقبا في طريقهما غلاماً يرعى غنمة ولما علما منه أنه يحسن القراءة ففص المتلصص كتابه ودفعه إلى الغلام فقرأه فإذا به أمر بقطع يدي المتلصص ورجليه ودفعه حياً فغداً المتلصص لابن أخته : يا طرفة معك والله مثلها فقال طرفة : كلا ! ما كان ليكتب لي مثل ذلك . وسار بالكتاب حتى أتى عامل البحرين وعمان وقتل . وهذا الخبر يدلنا على أن الكتابة والقراءة كانت معروفة عند الجاهليين .

ليس هذا فحسب بل إن المعلقات كانت تكتب وتعلق على الكعبة ليقرأها كل واحد على مكة في مواسم التجارة والأدب . وهذا يثبت أن العرب في الجاهلية لم يكونوا غرباء عن الكتابة والقراءة . ولماذا نبعد كثيراً وبين أيدينا نص لا يرقى إليه الشك ولا يأتيه الباطل بأن العرب في الجاهلية كانوا يعرفون مادة « قرأ » بمعنى التلاوة . ذلك هو خير نزول الوحي على النبي ﷺ . فقد أجمعت المصادر العربية والأجنبية على أن أول ما يدي به الرسول من الوحي هو الرؤيا الصادقة . « فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح » . ثم حبيب إليه الخلة والافتراء بفار حراء يخلو به الليالي ذوات العدد حتى جاءه الحق وهو في الغار . إذ جاء الملك فقال :  
- اقرأ . قال : ما أنا بقارى

يعنى لا أعرف القراءة . لأنه كان عليه الصلاة والسلام أمياً لا يعرف القراءة أو الكتابة . فكررها الملك مرتين ثم قال :  
- اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم .

فهذا حديث نبوي شريف يقطع في أن كلمة « قرأ » وشققاتها كانت معروفة عند عرب الجاهلية بمعنى التلاوة . فلا عجب إذا أن تكون كلمة يفتح بها الوحي الرباني . ويستعمل بها التنزيل الألهي هي كلمة « اقرأ » . وعلى فرض أن القرآن استعار مادة القراءة من بعض اللغات السامية الأخرى يزعم عدم العثور على هذه المادة في النصوص الجاهلية التي بين أيدينا فهو افتراض بعيد عن الصواب وفيه كثير من المجازفة .

وعلى ذلك فإتينا نرى أن الكتاب الكريم قد استحدث كلمة القرآن استحداثاً واشتقاقاً من كلمة « القراءة » العربية الأصل . وعلى نحو من الاشتقاق العربي الصميم . فكثيراً ما يأتي المفعول في لغة العرب بلفظ المصدر ، أو الفاعل ، فنقول العرب سر كاتم أى سر مكتوم ومكان

عامر أى معصور وعلى هذا فكلمة القرآن من قبيل تسمية المفعول بالمصدر .  
 حليفة قد لا يكون هذا الاشتقاق شائعاً في اللغة كغيره من الصيغ . ولكنه في حليفة الأمر  
 منسق الحروف منقوم التبرة ليس أجدر منه أن يكون اسماً وعنواناً وعليها على ذلك الكتاب  
 المعجز الخالد المنزل على النبي ﷺ والمكتوب في المصاحف والمثول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته  
 وقرآته .

وبعد ....

فلنأني أن تكون قد ولقنا الى إثبات عربية لفظ « القرآن » أصلاً واشتقاقاً ومعنى والله ولى  
 التوفيق !!!



### • أهم مراجع البحث •

- ( ١ ) السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، طبع القاهرة سنة ١٩٤١ .
- ( ٢ ) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو القاسم إبراهيم ، طبع القاهرة ، سنة ١٩٥٧ .
- ( ٣ ) ابن خالويه ، مختصر في سوانح القراءات ، نشر بعناية المشرق بروجيتراسر ، طبع القاهرة سنة ١٩٣٤ .
- ( ٤ ) الدكتور صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، طبع بيروت سنة ١٩٦٨ .
- ( ٥ ) محمد لطفي جمعة ، ثورة الاسلام وبطل الانبياء ابو القاسم محمد بن عبد الله ، طبع مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة سنة ١٩٥٩ .
- ( ٦ ) محمد طه الحاجري ، « كلمة قرآن » ، مقال منشور بمجلة الرسالة ، سنة ١٩٣٦ .
- ( ٧ ) رابع لطفي جمعة ، القرآن والمشتقون ، طبع المجلس الأعلى للعلوم الاسلامية ، القاهرة ، سنة ١٩٧٣ .